أما إذا كان من قاموا بتنفيذ تلك الأحداث من داخل أميركا نفسها، فذاك أمر آخر. وفي الواقع لا أعلم الإجابة الآن، ولكنها أسئلة صعبة ومحيرة.. ومن يملك الجواب الحقيقي هم قلة. ولهذا تجدني لا أحب السياسة ولا المشاركة فيها، لأنها لعبة غامضة غير بريئة.. لعبة يختلط فيها الخير والشر.. لعبة تحكمها نظرية «الغاية تبرر الوسيلة» بما يعني أن أستعمل كل وسيلة ممكنة لتحقيق الهدف.. حتى لو كانت بلا أخلاق، بلا رحمة، بلا عدالة. وما يحدث للعالم اليوم هو ما يدعوني للقول بأنه لا بد من تغيير هذه اللغة الغبية.. القبيحة في الوقت نفسه.. فقد دمرت العالم ولا بد من إيجاد لغة حوار جميلة مهذبة تتسم بالأخلاق.. تزخر بالمبادئ والرحمة والعدالة.

❀ ❀ ❀

واقع كاربنديل

إننا في عالم مليء بما لا يليق به.. في عالم يضمحل، وتضمحل فيه الأخلاق.. عالم يندثر ويذوب كشمعة الديمقراطية الأمريكية. فكل ما يجري من حولنا هذه الأيام لم يعد أمراً عادياً، حتى الدخول إلى أية مؤسسة حكومية أصبح أمراً يثير الريبة والقلق. فالعربي لم يعد هو نفسه بعد أحداث 11 سبتمبر.. لقد تغير العالم كثيراً وعلت موجات العنصرية والعداء للعرب والمسلمين باسم الحرب على الإرهاب والإرهابيين. ولم تكن تلك الإجراءات العدوانية واردة لولا أحداث 11

سبتمبر، وما تلتها من سياسات أمريكية عنصرية استعلائية حربية. فإدارة البيت الأبيض إدارة عنصرية تستمد حياتها من شعارات معادية للعرب والمسلمين ومن إيديولوجيا عنصرية عدائية تخدم الصهيونية.

فمنذ مجيء بوش للحكم والتعقيدات والمخالفات القانونية تزداد يوماً بعد يوم، ويكاد معظم الأمريكيين من أصول عربية وإسلامية ومشرقية يكونون الرديف للسود في جنوب أفريقيا زمن حكم البيض في نظام الأبارتهايد العنصري. ولم يمر يوم في أمريكا بعد 11 سبتمبر 2001، دونما مخالفة قانونية أو اعتداء عنصري على عربي أو مسلم أو مشرقي. لقد أسهمت إدارة بوش في تعزيز العداء للعرب والعنصرية ضدهم، وما زالت تخترع القوانين من أجل معاقبتهم على أشياء لا علاقة لهم بها. فالذين قاموا بعمليات الطائرات في 11 سبتمبر ليسوا ممثلين شرعيين وحيدين للأمتين العربية والإسلامية، لقد كانوا أفراداً من الأمتين، تصرفوا بمحض إرادتهم وباسمهم شخصياً لقناعتهم أن الأمة الإسلامية ومعها العربية مظلومة بسبب أمريكا وسياساتها المنحازة لإسرائيل ولكل ما هو معادٍ للعرب وللمسلمين.

ومؤخراً عندما اتضحت المخالفات القانونية، والأعمال الإرهابية الأمريكية ضد الأسرى والأسيرات والمعتقلين والسجينات في سجن أبو غريب وفي السجون الأمريكية العراقية الأخرى، سارع أركان إدارة بوش وعلى رأسهم الرئيس الأمريكي نفسه للقول بأن الذين قاموا بها

لا يمثلون الشعب الأمريكي، واعتبرها أعمالا فردية. لكنه لم يتفهم قط ولم يقبل اعتبار ما حدث في 11 سبتمبر أعمالاً فردية، ولا تمثل الأمة العربية أو الشعوب الإسلامية. بل ذهب إلى أبعد من ذلك، حيث اعتبرها حرباً صليبية جديدة، ثم نصّب نفسه بمكانة المخلص على الأرض معتبراً أنه يمثل العدالة الإلهية.

وفي الحقيقة.. فإن مدينة صغيرة بحجم كاربنديل، التي تقع في جنوب ولاية إلينيوي، لم يستوعب سكانها كثيراً مما حصل في مدينة نيويورك.. فكل ما كان يعرفه الأفراد هو (America under attack)، بعضهم قال: إن أمريكا تتعرض لغزو، وبعضهم كان خيالياً لتأثرهم بأفلام هوليود فقال: إن هناك غزاة من الفضاء. وهذا يدل على سطحية التفكير لأغلب الأمريكان. في المقابل بدأت الاتصالات بين الإخوان السعوديين في مدينة كاربنديل وكذلك في المركز الإسلامي بالمدينة، فقد كثرت الأسئلة وبدأت التكهنات والتحليل لما هو متوقع من الجانب الأمريكي للمسلمين والعرب بشكل خاص. استمرت الحياة ولكن كان هناك كثير من التحفظ من قبلنا.. كذلك كانت الحكومة الأمريكية قد أعلنت حالة الطوارئ، فأمرت بإخلاء بعض المباني التجارية في كل من شيكاغو، ولوس أنجلوس طيلة الأيام التي تلت 11 سبتمبر.

وفي الواقع بدأت تسير الأمور إلى الأسوأ، لا سيما بعدما أعلنت قائمة أسماء الذين نفذوا العملية ومن ضمنهم تسعة من المملكة العربية السعودية. إذ بدأت الأحداث تتسارع وبدأت الوجوه تتجهم،

وبدأت القوانين الجديدة تُسن.. عندها قامت السفارة السعودية بإرسال بريد إلكتروني إلى كل الطلاب تخيرهم بين العودة إلى الوطن وبين البقاء، حيث أمنت لهم تذاكر إضافية، وذكرت أن بإمكانهم حذف ذلك الفصل الدراسي ولن يتم احتسابه من مدة البعثة.

هموم ومشكلات الطلاب

كلنا نتفق على أن الغربة هي في حد ذاتها همٌ كبير، فما بالك بمن تكالبت عليه هموم الغربة، والوحدة والشعور بالخوف في كل لحظة. كان ذلك الشعور صعباً للغاية.. صعباً وأنت تواجه الكل وحيداً، صعباً وأنت تشعر أن الكل يلاحقك بعينيه.. يرصد كل تحركاتك.. يعد خطواتك. وقت عصيب لدرجة أن تحسب عليك البسمة، والنظرة، وحتى الإيماءة. تمشي وأنت تترقب بين الفينة والأخرى أن أحداً سيوقفك، أو أنك ستسمع كلمات لا تستطيع أن ترد عليها، ترى نظرات الاستغراب والتهكم. كل ذلك كان بعد الأحداث مباشرة ولا سيما بعد أن تم ربطها بالإسلام والمسلمين. كانت حقبة صعبة جداً عندما صدرت قرارات داخلية ودولية غيرت نمط حياتنا. بدأنا نشعر أننا فعلاً غرباء غير مرغوب فيهم.

ولكن بعد أن علم كل الإخوة السعوديين بقرار السفارة، اتخذ أغلب من نعرف من السعوديين المقيمين في مدينة كاربنديل قرار العودة إلى أرض الوطن، ولم يبقَ سواي وأحد الإخوة السعوديين مع أسرنا.

فلازمتنا مشاعر يعتريها الخوف تارة والرغبة في العودة تارة أخرى، وأحياناً كثيرة تمنينا لو أننا اتخذنا قرار العودة كالباقين ولكن.. قدر الله وما شاء فعل!

المهم أن قراري بالبقاء كان قراراً عقلانياً؛ لأن تحكيم العقل كان يحتم عليَّ إكمال دراستي والنجاح فيما قدمت لأجله. والحمد لله أنني لم أتسرع في العودة رغم ضغط الأهل في السعودية وخوفهم ومطالبتهم لي بالعودة.

كانت الوالدة تتصل بي يومياً، وتحثني على العودة وترك بلاد الكفار على حد تعبيرها، وأن أبحث عن مكان آخر للدراسة. كم أنتِ عظيمة يا أمي.. فقد أتعبتك صغيراً وكبيراً.. كم كنت قاسياً في بعدي عنك. ولكن كان هناك في الجانب الآخر صوت للعقل هو صوت قدوتي.. صوت معلمي الأول.. صوت شيخ ملأ فكره كل كياني، إنه أبي الشيخ عبد الله ابن معبر.. ذلك الشيخ الذي كان يدعو لي بالتوفيق ويرفع من معنوياتي ويحثني على النجاح، رغم علمي التام بأن قلبه كان يتقطع، ولكنه كان ينصحني أثناء حديثه معي في كل مرة يتصل بي فيها قائلاً: «إذا وجدت أنه لا بد من العودة، فالدنيا مليئة بالجامعات يا ولدي، وبإمكانك أن تجد مكاناً آخر». كل ذلك وأنا أعلم مدى خوفه، وكان ذلك يتجلى عند حصول حدث معين فيبادر بالاتصال بي للاطمئنان عليَّ.

لقد أثرت أحداث 11 سبتمبر كثيراً، بشكل مباشر أو غير مباشر، في الطلاب السعوديين في الولايات المتحدة، الذين يقدر عددهم بثمانية آلاف. فمنهم من سجن وحقق معه، ومنهم من عانى مشكلات

التأشيرة واضطر لقطع دراسته على الرغم من تفوقه، وانتقل آخرون إلى دول أخرى.. مع ما في ذلك من تكاليف مضنية، ومنهم من قرر طائعاً ترك دراسته والعودة إلى الوطن، وما تبع ذلك من تضحية وخسارة.

فلقد عانى الطالب السعودي كثيراً في تلك المدة، فأصبح قلقاً ومضطرباً من بقائه داخل الولايات المتحدة ولا سيما بعد التعليمات المشددة بتزويد الجهات المسؤولة بأي تحرك أو تغيير في العنوان خلال عشرة أيام.. مما يعني الحد من حرية الحركة، فيشعر الشخص بأنه مراقب طوال الوقت، كما أن الجامعات ترفع تقاريرها الدورية عن الطالب الموفد، فيما تشعرنا زيارات المحققين الفيدراليين المتتالية بالقلق على الرغم من أنها كانت ودية في ظاهرها. كما أن الطالب يُساءل إذا لم يسجل عدداً معيناً من الساعات خلال الفصل الدراسي، وبعضهم سئل بأثر رجعي عن فصل لم يسجل الحد الأدنى من ساعاته قبل أحداث 11 سبتمبر! وعندما نسمع بخبر عدم حصول أحد الإخوة على التأشيرة أو تأخر حصوله عليها، فإن ذلك يرعب الجميع. لذا.. فقد قرر أغلب الطلاب السعوديين البقاء إلى حين الانتهاء كلياً من دراستهم تجنباً لمشكلات عدم الحصول على التأشيرة. فعدم الحصول على التأشيرة أو تأخرها حال دون استكمال العديد من الطلاب لدراستهم. وقد عانى أحد الزملاء من ذلك حين عاد إلى السعودية بعد أربعة أشهر من أحداث سبتمبر، وتوجه فوراً إلى السفارة الأميركية في الرياض لتجديد التأشيرة، إلا أنه لم يتمكن من ذلك، على الرغم من

إجراء ثلاث مقابلات معه في مبنى السفارة الأمريكية بالرياض.. وفي كل مرة كانوا يعدون بالاتصال به دون جدوى. فلم يتصل به أحد رغم انتظاره عاماً كاملاً. مما اضطره للاتصال ببعض الزملاء في أميركا لبيع سيارته وحفظ أغراضه في مستودع إلى أجل غير مسمى. أما عن سبب رفضهم منحه التأشيرة فلا أحد حتى اليوم يعلم سبباً للرفض.!

ولعل من أصعب الأمور التي تواجه السعوديين في أميريكا هي المرور على نقاط التفتيش المختلفة في المنافذ والمطارات. فعلى الرغم من أن التفتيش ليس خاصاً بالعرب والمسلمين، إلا أن بعض الأشخاص يدقق، ويخرجنا من السير للتفتيش الشخصي، ويقول لك إنه قد تم اختيارك بشكلٍ عشوائي، مما يشعرك بالخوف والرهبة على الرغم من تأكدك أنك لا تحمل شيئاً مخالفاً للقانون، كما أن إلزام الطلاب بالسفر عبر الخطوط السعودية التي لا تصل إلا إلى محطتي نيويورك وواشنطن زاد من مشكلات الطلاب.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، تخيل أنك في إحدى الولايات البعيدة مثل إلينوي، أو كولورادو، أو كاليفورنيا، أو غيرها من الولايات البعيدة عن محطات الخطوط السعودية، فإن هذا يعني أنك ستكون مضطراً للسفر ست أو سبع ساعات للوصول إلى المحطات السعودية.. وهو ما يعرضك للتفتيش غير المبرر في أغلب الأحيان. إما لكونك مسلماً، أو سعودياً على وجه الخصوص، ناهيك عن المساءلة وتلف الأعصاب في كل محطة.. فما بالك إن يحدث ذلك لأصحاب الأسر الكبيرة.

وللسنة الرابعة على التوالي استمر الطلبة في التحوّل عن الجامعات الأمريكية، في عملية تغيير واضحة ربما تنعكس على حياتهم ومستوى تعليمهم. والأخطر من ذلك على المستقبل التنموي والتربوي في بلدانهم، بعد أن جرى الاعتقاد ولسنوات خلت أن الطلبة المتعلمين في الغرب هم عماد التطوير والتحديث في المجتمعات والإدارات في الخليج العربي. ومع استمرار النظرة التي ترفض إرسال هؤلاء الطلبة إلى بعض الدول الأخرى على سبيل المثال (بريطانيا)، وذلك لوجود بعض القصور في تعليم اللغة الإنكليزية لطلاب الدراسات العليا، حيث إن الدراسة في بريطانيا تقتصر على الأسلوب البحثي دون التركيز على المواد الدراسية التي تكسب الطالب نوعاً من الطلاقة في التحدث والاختلاط مع طلاب من جنسيات مختلفة.

لذلك برزت أسئلة عدة على السطح ومنها: كيف يمكن مواجهة المشكلات وحتى الأزمات التي يعاني منها الطلبة في الغرب؟ وهل البدائل المطروحة مناسبة؟ وما هو تأثير ذلك في مستقبلهم وفي المستقبل التعليمي والتربوي في دولهم؟ ومع وجود تلك العراقيل والطلبات التي لا تنتهي، انتهت الإجراءات الشاقة إلى حد التبصيم (أخذ بصمة كل أصابع الأيدي) وكأنك ستدخل أكبر سجن عرف في التاريخ (غوانتنامو أو أبو زعبل) ناهيك عن إجراء المقابلات مع كل أفراد العائلة نساءً ورجالاً، فنجد أن السفير الأمريكي في المملكة العربية السعودية يظهر ويطمئن الطلاب وأهليهم بأن إجراءات

الحصول على التأشيرة لدخول أمريكا قد تم تسهيلها ولن تستغرق سوى أيام معدودة، فيفرح الطلاب ويستبشرون خيراً، إلا أن الأمر لا يلبث أن يزداد سوءاً.

ومن المؤسف حقيقةً ما حصل لي ولبعض الأصدقاء، فقد عدنا لتجديد التأشيرة، فأجبر بعضنا على الانتظار أو استبعاد فكرة مواصلة الدراسة بعد أن قطعوا مشواراً كبيراً لتحقيق ما كانوا يصبون إليه. ومن الجدير بالذكر أن الالتحاق بالجامعات الأجنبية ولاسيما الجامعات الأمريكية لم يعد طموحاً يراود الشباب السعودي بعد أن بات عرضة للتمييز والشكوك، إلى جانب تعقيداته الإجرائية والأمنية، وإحجام السفارة الأمريكية عن منحهم تأشيرات دخول إلى أراضيها، إلى جانب ما يرد من أخبار غير مشجّعة حول ما يتعرّض له العرب والمسلمون في المجتمعات الغربية. فقبل 11 سبتمبر لم يكن الأمر يحتاج إلى كل هذه التعقيدات، إذ لم يكن الأمر يحتاج إلا إلى أيام بسيطة، يتم فيها حصول الموفد أو الطالب على التأشيرة. أما الآن، وبعد أحداث 11 سبتمبر، فقد بدأت التعقيدات تزداد يوماً بعد يوم، أضف إلى ذلك مشكلة العراق، والإرهاب، كما بدأت تزداد الطلبات والتعقيدات من قبل السفارة، ومن ضمنها منح التأشيرات وشروط المنح، والدفع المسبق، وإثبات الدفع... إلخ. ومع كثرة تلك الطلبات، فإنها لم تكن كافية لضمان الحصول على التأشيرة، بل قد يصل الأمر أحياناً إلى أن يعلق أمر الطالب، فيظل دون قبول أو رفض.. وإذا كان هناك رد معين، فيكون على الأرجح رفضاً غير مبرر دون إبداء للأسباب.

وفي ظل عدم توافر بعض التخصصات العلمية في الجامعات السعودية، يبقى خيار الدراسة في الخارج حاجة ملحة يتطلّبها سوق العمل، ليصبح الطالب السعودي أمام خيارات جديدة لجامعات عربية وآسيوية لم تكن مدرجة في قائمة الاعتراف من قبل وزارة التعليم العالي. ولعل بعض الدول العربية أصبحت هي الوجهة المفضلة لدى الكثير من الموفدين، ولا سيما فيما يتعلق بالدراسات الخاصة بالبكالوريوس، إذ تعتبر مصر والأردن من الوجهات المفضلة بالنسبة للموفدين، وكذلك دول الخليج في الآونة الأخيرة، حيث توفر الأخيرة بيئة مشابهة للبيئة التي يعيشها الموفد السعودي. ولو عدنا إلى ما وصل إليه الوضع الحالي الخاص بالطلاب السعوديين في أمريكا، نستطيع أن نقسم هؤلاء الطلاب إلى فئات ثلاث:

* الطلاب الموفدين على حساب الدولة من قبل المؤسسات التعليمية والمؤسسات الحكومية والوزارات (الجامعات، الكليات العسكرية، البنوك..... إلخ).

* الطلاب الملتحقين بالبعثة من أمريكا (وذلك بعد أن كان قد بدأ على حسابه الخاص وحقق الشروط المطلوبة للالتحاق بالبعثة) عن طريق السفارة السعودية والملحق الثقافي السعودي بأمريكا.

* الطلاب الدارسين على حسابهم الخاص.

إجمالاً.. فإن عدد الطلاب السعوديين الدارسين في الخارج يتجاوز 16 ألف طالب، وفقاً لإحصائية وزارة التعليم العالي، التي شملت الطلاب والطالبات الدارسين على حسابهم الخاص، والموفدين

من قبل الدولة. وتقدر تكلفة دراسة الطالب السعودي في الخارج بنحو 200 ألف ريال سعودي على الأقل سنوياً. وبهذا يبلغ إجمالي ما ينفقه السعوديون على التعليم في الخارج أكثر من 3,2 مليار ريال سنوياً.

❀ ❀ ❀

فلسفة 11 سبتمبر وتداعياتها

آن الأوان بعد مرور أربع سنوات تقريباً على حوادث الحادي عشر من سبتمبر لإجراء جرد أولي بكل ما تغير على الصعيد الجيوسياسي العالمي الذي سوف يؤثر على حياتنا، فبعد الحلقة التي بدأت في التاسع من نوفمبر 1989 مع سقوط جدار برلين، ها هي مرحلة تاريخية تنطلق اليوم بما لا يقبل الجدل.

بدأ كل شيء مع يوم الثلاثاء 11 سبتمبر عادياً، وغير مستغرب.. ولكن مع ضحى ذلك اليوم تم اكتشاف سلاح جديد.. طائرة ركاب مليئة بالوقود تتحول إلى صاروخ مدمر، هذا الصاروخ المدمر ـ غير المعروف قبل هذا التاريخ ـ ضرب أميركا على حين غرة ولمرات عدة في الوقت نفسه. كانت الصدمة من العنف بحيث أدت في الواقع إلى زعزعة العالم وزعزعة الكيان الأمريكي والغرور الذي يسبق السقوط.

ما تغير للوهلة الأولى هي النظرة إلى الإرهاب في حد ذاته، فبدأ مباشرة الكلام عن إرهاب مفرط للإشارة إلى أن الأمور لم تعد كالمعتاد ولن تكون كما هي في السابق. فلقد تم اجتياز عقبة لم تكن